شيطانة تتفلسف !!

الأستاذ محمود كامل حبيب

« إن المرأة خلقت من ضلع ، لن تستقيم لك على طريقة واحدة ، فان استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج ، وإن ذهبت تقيمها كسرتها ، وكسرها طلاقها » حديث شريف

هى شيطانة شابة فتانة ، تخرجت فى مدرستها بعد أن نالت حظاً من الأدب والفلسفة والمنطق ، وشدت طرفاً من الكيمياء والطبيعة والرياضة ، وغذت خيالها بألوان من قصص الحب وروايات الغرام ؛ ووعت علم السيما فما تنسى منه حرفاً ؛ وتعلمت — فيما بين المدرسة والبيت — فنوناً شيطانية خلابة أرسلت الشاب فى إثرها يتلمس إليها الطريق — الفينة بعد الفينة — وهى بين الطمع والخوف لا تدفعه إلى اليأس ولا تجذبه إلى الملل

ودار الفلك دورة فإذا هى مُسَاة على هذا الفتى . ثم خطبت له

وجلست الشيطانة المتعلمة إلى نفسها — ليلة الزفاف — تتفلسف ... وتناهى إلىّ الحديث كله . وهأنذا أنقله إلى قراء (الرسالة) الغراء ، لا يعبث عقلى برأى ولا يعيث قلمى فى خاطرة إلا أن أدير الأسلوب — وهو عَرَض — على طريقة لا أمس بها الجوهر ...

قالت :

يا صاحبى لا تلمنى فإنها جِبلّتى الشيطانية هى التى توحى إلىّ

لقد عرفتك فتى رقيق الشباب ، بهىّ الطلعة ، لا يعوزك المال ولا العلم ، فآثرتُ أن تكون ...

ولجّ بك الهوى على حين كنتُ أمكر بك وأوسوس لك عَلى أنال بُغيتى

لشدّ ما أفظعنى — وأنا فى المدرسة — أن أرى أستاذتى العجوز الشمطاء قد خذلها العلم وضيّعها الدرس ، فتناثرت زهرة شبابها وهى تتخبّط فى عَماء الحياة لا تستطيع أن تأوى إلى ركن ...

وأفزعنى أن أكون — بعد سنوات وسنوات — صورة منها ، فذهبتُ أتحسس منك

يا صاحبى لا تلمنى فما بى هوى لك ، ولكن حب نفسى لنفسى

إن المرأة المتعلمة تتفلسف فى الحب فإذا هو نظرية فلسفية ذات طرفين : الأنانية والخداع

والحب — فى عينى المرأة — هو خداع الرجل عن نفسه وأهله وماله !

هو التضحية العظمى التى أردتك عليها

لقد سلكت إلى قلبك سُبلاً ضللت أنت فيها ، لأجذبك إلىّ

أنا لا أحبك ، غير أنى سأجد فى الحب والغيرة مادة تحمّى تترهّج أنت فى قَتَمها ...

وكيف أحبك — يا زوجى — وأنا لا أستطيع أن أنفذ إلى أعماق تاريخك ؟ لست أنت من ذوى قربای فينجذب إليك دمى ، ولست رفيق صباى فأرى فيك الذكرى ، وأجد فى الذكرى نشوة ولذة ؛ ولستَ تِرْبى فأضنّ بك . إنْ هى إلاّ نزوة من نزوات الشباب طارت ثم استقرت فيك !

وبعد ، فأنا لا أستبطن لك بُغضاً ، لأنه يتراءى لى أن نفسك صافية طيبة .

ولكن ... ولكن كتابك الذى تعتز به ، هو عدوى الذى أفرق منه ... !

سأستلبه منك بحيلة شيطانية ، فلا تفزع !

لا جرم — يا صاحبى — إن المرأة لا تستطيع أن تكون زوجة إلا أن تكون بلهاء ، أو يكون زوجها مغفلاً !

فلا معدل لى عن أن أتغفّلك بالرياء ، وأغترّك بالتصنّع ، وأخدعك بالحيلة لتكون ابناً لأمى لم تلدك ، وولداً لأبى لم يُربّك !

إن أمى تتشوق إلى فتى يملأ الدار حياة ، وأبى يتشوّف إلى شاب يضطلع بأعبائه ، وقد كبرتْ سنه ...

فتعال أنت لتشفى غلّة أمى ، وتنقع صدى أبى !

يا صاحبى ، إن تنازع السيادة فى الدار — بين الرجل والمرأة — صَفَاة تتكسر عليها السعادة

والمرأة الجاهلة تستأسر زوجها فى سهولة ، وتتصاغر أمامه فى ذِلّة ، لأن عقلها الفاسد لا يستطيع أن ينفذ إلى قلبه إلا أن ينشر على عينيه ضعفها النسوىّ الوضيع

أما أنا فتنسمتُ روح الحرية ، وعشتُ عمري سيدة نفسى ، لا أخضع لأمر أبى ولا أستسلم لرأى أمى ... ثم وجدت حلاوة الطاعة حين استذللت جمالى وأسرك حديثى

فهل تطمع فى أن تتصدّنى ؟

لا ضير ، فسأعيش عند رأيك ساعة ليطمئن قلبك ؛ ثم أمكر بك المكر الأعظم فأحصّ جناحك فلا تنفلت من لدنى إلاّ أن يؤذن لك

ثم أترفق بك فأنتزعك ـ رويداً رويداً ـ من بين سُجراء نفسك وأحباء قلبك ، لتكون لى وحدى

وأبذر غراس الشقاق بينك وبين أهلك فأصرفك عنهم لتكون ابن أمى وأبى

يزعم الناس — يا صاحبى — أن البيت سجن المرأة حقاً ، غير أنى سأحيله بنفثة شيطانية إلى قفص أدفعك بين قضبانه ، وأطير أنا إلى حيث يحلولى

وإذا ورم أنفك وطئتك بابتسامة تصدع كبرياءك

وإن ثرتَ نثرتُ بين يديك ضعفى القوى ... عبراتى ، فتتخاذل لها لأنك تحبنى

وإن نازعتنى الأمر — بعد هذا وذاك — وأصررتَ على رأيك واستكبرتَ ، سعّرتُ فى دارك ناراً حامية تصف بسعادتك ، ثم أنفلت أنا لأجد فى الأرض مراغماً كثيراً وسعة

وابنى ... ابنى الذى يتراءى لك ـ من وراء حجب الغيب ـ قرة عين ، هو فى عينىّ مادة شقاء لك إن سولت لك نفسك أمراً

وإذن تسقم منى بالعافية ، وتفتقر بالمال ، وتشقى بالسعادة ، وتضيقُ نفسك بالفَرَج ، وتزلّ بالرأى الصواب ، وأعيشُ أنا إلى جانبك ـ أو فى منأى عنك ـ داءك الذى لا تبرأ منه

وإن شئتَ ولدتُ لك كل يوم فلسفة شيطانية تلقى بك فى تيهاء مظلمة تحار أنت فيها ، وأنا أرى وأبسم

وغداً أدخل دارك أرفل فى الحرير والديباج ، أتأود فى فتنة ، وأتثنى فى كبرياء

فتلقّانى ـ يا صاحبى ـ بين ذراعى حبك

لأنك لا تعلم بما توسوس به نفسى

ولا تلمنى فإنها جبلتى الشيطانية هى التى توحى إلى

« طبق الأصل »

كامل محمود حبيب

الفرقة القومية المصرية ـ بدار الأوبرا الملكية

تقدم ابتداء من السبت ٣ فبراير والأيام التالية رواية

عبيـــــد الذهب

كوميدى اجتماعية من ٥ فصول . ترجمة الأستاذ أحمد الصاوى محمد

اخراج الأستاذ سراج منير

يشترك فى التمثيل حضرات الأساتذة :

حسين رياض فؤاد شفيق أمينة نور الدين

راقية ابراهيم . زكى رستم . على رشدى . عباس فارس . فؤاد فهيم . محمود رضا . سعيد خليل . عباس يونس . يحيى شاهين . حسن سالم

الموسيقى للأستاذ محمود عبد الرحمن

يرفع الستار يوميا الساعة ٨و٤٥ ماعدا الأحد فقط نهارية فقط الساعة ٦ تطلب التذاكر من شباك الأوبرا تليفون ٥١٧٩٣

شاعر عبقرى

رأيت هذا الشاعر العبقرى ، أستغفر الله ، بل حظيت بشرف لقائه والاستمتاع مرة بسماع بعض دُرره الغوالى ، وليس بالأمر الهين لقاء مثل هذا الشاعر فى زمن قل فيه العباقرة ، وحط فيه من قدر الشعر ، حتى اعتبره بعض الناس شيئاً لا غناء فيه ولا متعة من ورائه؛ وذهبوا فى ذلك إلى أنه لن تمضى سنوات معدودات ، ولا يتصل للشعر بحياة هذا الزمن بسبب من الأسباب ...

ولئن سعد جدك فمثلت ساعة مثلى بين يدى هذا الشاعر ، لوقعت منه على شاب تتوزع الظنون فيه عقلك وخيالك . فإن كنت ممن يجهلون سمات العبقرية ، ظللت فى حيرتك ودهشتك بل لقد يذهب بك جهلك إلى أن تعزو ما يبدو لك منه إلى الحماقة والبله . فتلحد بذلك فى الفن من حيث لا تدرى إلحاداً شديداً .

والحق أنى حرت فى أمره برهة حين رأيته ... فهو يطيل النظر فى وجوه جلسائه فى صمت عميق ، فيحسبونه معهم وما هو معهم ... ثم هو يرفع عينيه فى بطء إلى السقف ، ويظل كذلك برهة غير قصيرة كن أخذته عن نفسه حال من غم أو من ذهول ، على أنى لم ألبث أن رددت أمره إلى ما علمت عن العباقرة ، فهم كثيراً ما يذهلون عن أنفسهم بما تعرج فيه أرواحهم من معارج علوية ، وكيف يكون عبقرياً ولا تسبح روحه وتعرج إلى السموات كما تسبح أرواح العباقرة وتعرج ؟

ورأيت الشاعر قد أطال شعر رأسه ، ثم تركه دون ترتيب ، حتى تهدل على فوديه ، فغطت خصلات منه أذنيه، وتدلت خصلات فوق عنقه ؛ بينما ترا كم بعضه على بعض ، حتى كان منه ما يشبه الأكمة فوق جبينه ... وهو لا يحرص على شىء من مظهره حرصه على أن يكون شعره هكذا كشعر أقرانه من كبار الفلاسفة ونوابغ أصحاب الفنون دليلاً فى رؤوسهم لا يكذب على النبوغ ، وبرهاناً لا يخطئ على الفن . وتكلم الشاعر الشاب فى نبرات الشيوخ ولهجتهم ، فأخذ يشكو من قلة فهم أهل زمانه لشعره وعدم تفطنهم إلى فنه ، ولكنه ما لبث أن أشرقت أسارير وجهه حينما ذكر بعض من يفهمونه بأنه جاء قبل أوانه ، وأنه لا بد أن تعرف قيمة فنه يوم تنجاب عن العقول حجب الغفلة ... أو لم يشك المتنبى بأنه كان فى أمته غريباً كصالح فى ثمود؟.. ولكم سر الشاعر بهذه المقارنة البارعة بينه وبين عبقرى آخر على شاكلته .

وأفاض شاعرنا العبقرى فى أنه يسير على نهجه رضى الناس — أو لم يرضوا — فإنه إنما يغنى خلجات وجدانه ، وعرض للمادة والحياة الدنيا وزينتها ، فأكد أنه ليس من ذلك كله فى شىء ... ولست أدرى لم وثبت إلى رأسى حينذاك قصائده الطويلة — وكنت نسيتها — فى مدح فلان وفلان ممن لا يكون مدحهم إلا وجهاً من الزلفى ! ؟ ولكنى لفرط هيبتى من الشاعر ، أو قل لفرط إيمانى بعبقريته لم أستطع أن أشير إلى شىء من هذا .. وهل أرضى أن أضع نفسى عنده موضع الأغرار والحمق ؟ ولعل ما فعله كان سراً من أسرار العبقرية لا ينهض له خيالى اليوم .

وأشار أحد أصحابه إشارة خفية إلى تلك الروح السامية التى ألهمته أغانيه ، فبدت على وجهه مثل أمارات الخجل وضحك ضحكة غريبة ، ثم رمى صاحبه بنظرة غاضبة كأنما خيل إليه أن ذلك الصديق يشك فى وجود تلك الروح ، أو يظن أنها بعض ما يجرى فيه الكلام فى مجالس بنى الطين ... وما كان شعره فيها إلا صلوات قدسية تتنزل عليه من عليين ، وهى كعبقريته ، أمر لا يعلق به شك إلا فى رؤوس الجاحدين والهازلين .

وألح عليه صاحب آخر أن يطربنا ببعض ترانيمه ، فتقرس فى وجهى يتبين : أأنا ممن تبدو عليهم مخايل الفطنة ، أم أنا من الذين لا يفهمون ... ولعله كان أقرب إلى الأولى ، إذ قد أخذ يسمعنا من شعره .. وأشهد لقد وقعت منه على كلام من السحر الحلال تتقطع دون بلاغته الأوهام ... ولكم وددت لو أنى استطعت أن أحفظ شيئاً منه ، على أنى أذكر من أوصافه ما لست أشك لو ذكرتها لك أنك كنت ترى معى أنها آيات من الفن تقصر عنها بدائع ابن هانىء وروائع بشار ؛ ويتخاذل دونها فن الطائى وسحر الوليد ومعجز أحمد وبدع ابن الرومى وقدرة شيخ المعرة ... دع عنك شوقى وجيل شوقى ومن خلا من قبله فى مصر ومن خلف من بعده من الشعراء ... وليس يهمه أن ينكر الأغفال فى هذا الجيل أسلوبه ومعانيه، فليس عليه أن يُفهِمَ من لا يفهمون

وإنه لينكر على شوقى ما توافى له من ذهاب الصيت ، ويستكثر عليه لقبه الذى عرف به ، ويعزو ذلك أيضاً إلى غفلة هذا الجيل ، وتتحرك فى نفسه العبقرية ، فيتساءل : ماذا يجد الإنسان لشوقى من الشعر الحق ، ولقد كان كلامه مرثيات ومدائح لا روح فيها ؟ ولعله لم يقرأ فيما أرى شعر شوقى ، ولست أدرى ، فلعل هذا كذلك سر من أسرار العبقرية . وتوسلنا إلى الشاعر أن يجود على الناس بنشر ما أسمعنا فرفض قائلاً : إنه يضيق بهؤلاء الناس حتى ليود ألا ينظم بعد اليوم بيتاً من الشعر ... فتوسلنا إليه ألا يفعل حرصاً على دولة الشعر ، وإشفاقاً على مكانة العربية ...

« عبى »